المحاضرة الأولى: التعليمية التطبيقية ( المفاهيم والمصطلحات )

تمهيد: تعدّ التعليمية من أهمّ العلوم المعاصرة الّتي خرجت من رحم علوم شتى كاللسانيات وفروعها، وعلوم التربية وغيرها، وقد اضطلعت التعليمية بمهمّة التعليم والتعلّم من خلال تطوير المناهج وتحديث الوسائل، وتنويع المقاربات الّتي من شأنها تحسين المردود التعليمي التّعلمي.

**1 - في تحديد مفهوم التعليمية التطبيقية :**

كلمة( didactique ) مشتقة من الكلمة اليونانية Didactikosوتعني فلنتعلّم، كما كانت الكلمة تطلق «على نوع من الشعر يتناول شرح معارف عملية أو تقنية "الشعر التعليمي"» ، وهذا الضرب من الشعر نظم من أجل تيسير العلوم والمعارف، لأنّه يساعد على عمليتي الاستيعاب والاستظهار

يعرّفها كلّ من **سميث** و **ميلاري**: "إنّ الموضوع الأساسي للتعليمية هو دراسة الشروط اللازم توفّرها في الوضعيات أو المشكلات الّتي تقترح للتلميذ قصد السماح له بإظهار الكيفية الّتي تشتغل بها تصوّراته المثالية"

ولأنّ التعليم عادة يحدث نتيجة وجود مشكلة تعليمية تواجه هذا المتعلّم، و بحثه عن حلول لها يؤدي إلى حدوث فعل التعلّم، وهذا ما يؤكّده **محمّد الدريج** بقوله: الديداكتيك أو علم التدريس هو الدراسة العلمية لطرق التدريس وتقنياته ولأشكال تنظيم مواقف التعلّم الّتي يخضع لها التلميذ في المؤسسة التعليمية قصد بلوغ الأهداف المسطّرة مؤسّسيا، سواء على المستوى العقلي أو الوجداني، أو الحسي-حركي"

وإذ ذاك فهو علم يجمع بين المفاهيم والنظريات الّتي تحاور عملية التعلّم والتعليم وتحاول رسم قنواته، وبين الجانب العملي من خلال البحث عن الطرائق والتقنيات المناسبة الّتي يستخدمها المعلّم لتجويد فعله التعليمي وتحقيق الأهداف المسطّرة إذ "يستهدف في جانبه النظري صياغة النماذج ونظريات تطبيقية –معيارية، كما يعنى في جانبه التطبيقي السعي للتوصّل إلى حصيلة متنوّعة من النماذج الّتي تساعد كلّا من المدارس المؤطر والمشرف التربوي وغيرهم على إدراك طبيعة عملهم والتبصّر بالمشاكل الّتي تعترضهم"

إنه علم يهتمّ من جهة:

أ- بالمحتوى ويمكن أن يطرحه تعليميه من صعوبات مرتبطة بالمفاهيم والنظريات، كما تركّز على كيفية تحويل المحتويات المعرفية إلى نشاط تفاعلي هادف.

ب- بالمتعلّم من خلال بناء وتنظيم وضعيات تعلّم تكسبه معارف وكفايات ومواقف.

جـ-بالمعلّم وذلك بالتركيز على أدواره في تسيير فعل التعلّم والتحصيل

فالتعليمية من هذا المنطلق تؤكّد على العلاقة التفاعلية بين طرفي العملية التعليمية-التعلّمية، وهي بالأساس "وضعيات( تعليم-تعلّم، وهي كل موقف تواصلي بين الطرفين يهدف إلى إحراز تقدّم أو تغيير كمّي أو كيفي على المستوى المعرفي أو الوجداني، أو الحس حركي"

إنّها علم يخطّط لسيرورة المسار التعليمي التعلّمي، ثمّ يبحث عن آليات التنفيذ والممارسة، ثم التقويم والتعديل من خلال الوقوف على ما تحقّق وتثمينه وعلى ما كان لابدّ أن يتحقّق ولم يتحقّق وتصحيح مساره.

وقد اقترح محمّد الدريج هذه الخطاطة الّتي تصف موضوع الديداكتيك واهتماماته:

المدرسة

المتعلّم

المعلّم

الأهداف

التعلّم

التعليم

ماذا؟

كيف؟

متى؟

العمل

التعليمي

البحث

البرمجة

الإنجاز

التقويم

2- أقسام التعليمية ( أنواعها ):

لأنّ التعليمية إشكالية إجمالية ودينامية تتضمّن تأمّلًا وتفكيرًا حول طبيعة المادة الدراسية وأهداف تدريسها، وإعداد فرضيات العمل المتجدّدة باستمرار فهي بهذا دراسة نظرية وتطبيقية معا.

**أ-تعليمية عامة( Didactique Générale ):** وتهتم بمختلف القضايا التربوية في القسم، بل بالنظام التربوي برمّته"، فتقدّم المبادئ الأساسية والقوانين العامة والمعطيات النظرية الّتي تتحكّم في الفعل التربوي من مناهج وطرائق تدريسه، ووسائل بيداغوجية، وأساليب تقويم، فهي تهتمّ بالمعارف التعليمية القابلة للتطبيق في المواقف التعليمية في مختلف المحتويات والتخصصات، أي التركيز على الأسس والقواعد العامة الّتي ينبغي مراعاتها أثناء عملية التدريس، دون النظر إلى خصوصية هذه المادة، إذ تسعى إلى تطبيق مبادئها ونتائجها على مجموع المواد التعليمية دون تمييز، لذلك يتلخص موضوعها في التفاعل على بين نشاطي التعلّم والتعليم في إطار قوانين العملية التعليمية.

وتنقسم – هي الأخرى- إلى قسمين: **قسم أوّل** يهتم بالوضعية التعليمية حيث تقدّم المعطيات القاعدية الّتي تعدّ الدعامة الأساسية لتخطيط كل موضوع ، وكل وسيلة تعليمة، أمّا **القسم الثاني** فيهتم بالقوانين العامة للتدريس دون التفضيل في قانون كلّ مرة على حدة .

إذن تضطلع التعليمية العامة بتحديد الأسس النظرية العامة الّتي تتعلّق بتخطيط الوضعيات البيداغوجية، مع البحث عن الآليات الإجرائية للممارسة التطبيقية الفعلية.

**ب- التعليمية الخاصة( Didactique Spécifique ):** وتهتم بـ "تخطيط التعليم وبرمجة الوضعيات التعليمية التعلّمية في ارتباطها بمادة دراسية أو مهارات وملكات تكوينية، ووسائل وأنشطة معينة، مثل: ديداكتيك اللغات، ديداكتيك الرياضيات ديداكتيك الاجتماعيات ..." ، فهي جزء من التعليمية العامة، وتهتم بالقوانين والمبادئ والقواعد التعليمية، لكن على صعيد أضيق مقارنة بالتعليمية العامة، فهي متعلّقة بمادة دراسية واحدة وبالتالي بعينة تعليمية أقل، وبوسائل أخص وتسمى أيضا بتعليمية المادة لأنّها تسعى لتدريس "مادة من مواد التكوين فقط، من حيث الطرائق والوسائل والأساليب الخاصة"، فتهدف إلى الكشف عن النظريات والإجراءات المتحكّمة في سيرورات التعلّم والتعليم في كل مادة تعليمية فقط من خلال التركيز على الوضعيات الحقيقية لعمليتي التعلّم والتعليم، قصد الكشف عن المشكلات والعراقيل المثبطة لتحصيل جيد للمحتوى داخل القسم، فتحدّد وتصمّم نماذج دقيقة لمعرفة نوعية هذه العراقيل انطلاقا من وصف وتحليل وتفسير الخلل وطبيعته وحركته في مجال السيرورات الّتي تحدّ من استيعاب المعارف وتحصيلها، وذلك باستخدام الوسائل التعليمية الإجرائية التالية، الّتي تضطلع بمراقبة الأداء التحصيلي للمتعلّم، والأداء البيداغوجي للمعلّم وسينعكس ذلك إيجابًا على الفعل التعليمي التعلّمي:

1- الشبكات الوصفية التحليلية للخطأ.

2- تصميم جداول توضيحية تساعد المتعلّم على تمثيل المعارف بسهولة.

3- تصميم بطاقات الملاحظة الفردية لمراقبة الأداء القبلي والبعدي للمتعلّم الّتي تساعد في تقييم وتقويم مستوى أداء المتعلّم والمعلم على حدّ سواء.

**3 - الترسانة المصطلحة التعليمية :**

**أ-النقل الديداكتيكي( Transposition Didactique**): يعرّف النقل الديداكتيكي( التعليمي ) بأنّه "مجموعة من التّغيرات والتعديلات الّتي تطرأ على المعرفة العلمية المتخصصة بهدف تحويلها إلى معرفة مدرسية أو مادة تعليمية"، فهو إجراء يتمّ على مستواه تحليل مراحل تحوّل المعرفة من معارف مرجعية، إلى معارف تعليمية قابلة للتدريس، وتكون هذه المعرفة في البداية محوّلة من معرفة عالمية أو مستقلّة من تخصصات علمية مختلفة، وتمرّ بمراحل عدّة حتّى تصبح قابلة للتدريس على شكل دروس مصاغة بطريقة تلائم مقتضيات الفعل التعليمي-التعلّمي.

**ب- العقد( التعاقد ) الديداكتيكي( Contrat didactique )**: ويعرّفه بأنّه "مجموع التصرّفات أو السلوكات الصادرة عن المعلّم والمرتقبة من المتعلّم، ويتمثل هذا العقد في مجموعة من القواعد الّتي تحدّد بشكل ضمني أو صريح دور كلّ واحد في العلاقة الديداكتيكية الّتي تربطهما"، فهو عادة عقد ضمني بين المعلّم والمتعلّم يحدّد ما هو مطلوب من كلّ طرف من مسؤوليات والتزامات قصد إنجاح العملية التعليمية التعلّمية.

**جـ- التمثّلات( التصورات ) Représentation**: ويقصد بها "المعارف والمعلومات الأوّلية الّتي يمتلكها المتعلّم قبل التعلّم، والّتي يكتسبها من محيطه الاجتماعي حيث تمكّنه من معالجة الوضعيات التعلّمية الّتي يواجهها أثناء التعلّم بطريقته الخاصة"، أي تشير التمثّلات إلى المعرفة السابقة والمكتسبات القبلية للمتعلّم حول الموضوع الحالي، فذهن المتعلّم لا يكون خاليا من المعارف فله تصوّرات مسبقة حول الموضوع الجديد، ويعالج هذا المحتوى الآلي، من خلال معارفه السابقة الّتي اكتسبها من محيطه الاجتماعي والثقافي

**د- مستوى صياغة المفهوم( Niveau de formation d'un concept ):** تعرّف المفاهيم على أنّها معانٍ عامة مجرّدة، وتتكوّن بطرق معقّدة كالمقارنة والتحليل والتركيب، التعميم والتجريد...، وبالتالي فهي لا تتكوّن دفعة واحدة، وإنّما تمرّ بمراحل معينة ومتدرّجة تتناسب مع النمو المعرفي واللغوي للمتعلّم، ومع مستوى استيعابه لذلك تركّز التعليمية على تجزئة المعارف والمفاهيم، وبنائها تدريجيا من خلال الانتقال من السهل المحسوس إلى الصعب المجرّد، ومن الجزء إلى الكلّ ليصل في النهاية إلى اكتساب المفاهيم.

**هـ- شبكة المفاهيم( Trame Conceptuelle** ): هي "مجموعة محدّدة من المفاهيم المفتاحية الخاصة بميدان معيّن، والّتي لها طابع إدماجي، وهي موجّهة لتوضيح المادة التعليمية، وتصميم فترات الهيكلة الّتي تسمح بإعادة تنظيم ما يلي من نشاطات مدرسة"، وتعدّ الشبكة التصورية مرجعًا لتحديد مكتسبات المتعلّم، ومساعدة المعلّم على اختيار الخطة التعليمية، فهي نموذج نظري ينجز انطلاقا من تحليل الإطار العام للمفهوم قصد توضيح العلاقة الموجودة بين الأفكار المكوّنة لهذا المفهوم، وبينه وبين المفاهيم المجاورة له من جهة أخرى، لذلك عدّت شبكة من المفاهيم القاعدية الّتي تمثّل الإطار المرجعي لكلّ مادة تعليمية

**و-العائق التعليمي( Obstacle didactique ):** وهو مفهوم ورد مع الباحث مارتيناند( Martinand ) الّذي أشار إلى الحواجز الّتي تجعل من التعلّم غير ممكن، ويتمثل العائق في "العقبات الّتي تحول دون تحقق التعلّم، ومن أبرزها التمثّلات الشخصية للمتعلّم المبنية على أساس إمبريقي"، وقد ربط أغلب الباحثين في التعليمية بين العائق والهدف لأن العائق غالبًا ما يحول دون تحقيق الأهداف المرسومة سابقا بعدّها عملًا تحضيريا يسبق أي نشاط يرمي إلى جعل فعل التعلّم فعلًا إجرائيا، لذلك "فالحديث عن الهدف العائق يجعل من الهدف مرجعية للبرنامج،بينما مفهوم العائق يرتبط بالتصورات"

**خاتمة:** بظهور التعليمية كعلم مستقلّ له نظرياته و مصطلحاته وإجراءاته، يعني بالفعل التعليمي –التعلّمي، انتقلت النظرة لهذا الفعل من مجرّد عملية عشوائية يتم التركيز فيها على المحتوى المقدم، ومالك هذا المحتوى ( المعلّم ) إلى عدّة عملية ممنهجة وعملية يتم فيها بناء البنية العقلية والانفعالية والأدائية للمتعلّم الّذي صار بؤرة ومحط الاهتمام والتركيز لذلك فهذه المسيرة والمخاض الصعب الّذي مرّت به التعليمية لتأسيس وجودها واستقلالها أثرا إيجابا على نوع التعليم ونتاجاته.

قائمة المراجع:

- محمـد الدريج: ديداكتيك اللغات واللسانيات التطبيقية –تداخل التخصصات أم تشويش برادديكمي-، منشورات مجلّة كراسات تربوية، 2019.

- علي إسماعيل: فلسفات تربوية معاصرة، عالم المعرفة، القاهرة، 1995.

- إبراهيم الخطي، مصطفى الكسواني: مدخل إلى التربية، دار قنديل، عمّان، الأردن، 2009.

- أحمد حساني: دراسات في اللسانيات التطبيقية –حقل تعليمية اللغات-، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2000.

- خالد لبصيص: التدريس العلمي والفني الشفاف بمقاربة الكفاءات والأهداف، دار التنوير، الجزائر، 2004.

- طيب نايت سليمان: المقاربة بالكفاءات: الممارسة البيداغوجية -أمثلة عملية-، دار الأمل، الجزائر، 2015.

- الجيلالي بن يشو: دراسات في اللسانيات التطبيقية، دار الكتاب الحديث، القاهرة، ط1، 2015.

- محمـد لمباشري: الخطاب الديداكتيكي بالمدرسة الأساسية بين التصوّر والممارسة، دار الثقافة، المغرب، ط1، 2002.

- علي آيت أوشان: اللسانيات والديداكتيك –نمودج النحو الوظيفي: من المعرفة العلمية إلى المعرفة المدرسية-، دار الثقافة، المغرب، ط1.

-Louis Armilla: Dictionnaire de pédagogie et de l'éducation, Bordas, Paris, 2007.

- Français lasnier: Réussir la formation par compétence, Ed, Guérin, Montréal, 2000